الناس للناس...

مع كتابة هذه السطور تكون جمعية أهلنا قد أتمّت عامها الثامن؛

وحين ننظر اليوم الى ابنة الثامنة نرى في ملامحها نضجاً لا يتوافق عادة مع عمرها القصير؛

ما سرُّ هذا النجاح؟

وكيف استطاعت هذه الجمعية وفي فترة قياسية أن تتحوّل من جمعية صغيرة في شقة صغيرة متواضعة إلى مؤسسة تملأ المدينة وتشغل الناس؟...

وللإجابة عن هذا السؤال لا بُدّ من العودة الى البدايات؛

فأهلنا في الحقيقة بدأت عملها على الأرض قبل أن تتسجّل رسميّاً، إذ إنّ السيدات اللواتي أسّسن جمعيّة أهلنا عام (٢٠٠١) شكّلن قبل ذلك بأربع سنوات (عام ١٩٩٧) «لجنة دعم صندوق الزكاة في صيدا». هذه اللجنة وكما يبدو من اسمها عملت الى جانب صندوق الزكاة الذي كان قد تأسّس حديثاً في ذلك الوقت، ويقوم عمله على جمع أموال الزكاة من

سحر جلال الدين الجبيلي(*)

(*) عضوة مؤسسة ورئيسة جمعية أهلنا حالياً.

المقتدرين لتوزيعها على أصحاب الحاجة وفق أحكام الشريعة الإسلاميّة.

وقد عملت اللجنة النسائية التي تشكلت كرديف للصندوق عن طريق حثّ السيدات في مدينة صيدا على دعم صندوق الزكاة لزيادة إيراداته وتالياً زيادة عدد المستفيدين.

وقد رفعت اللجنة شعاراً معبّراً: «القليل الدائم خير من الكثير المنقطع»، وكان المبلغ المطلوب من كل سيدة مشتركة تأمينه شهريّاً زهيداً (٢٠,٠٠٠ ل.ل) (١٣$)، شرط الاستمراريّة لضمان استمرار المساعدة.

إنّ المبلغ الزهيد المطلوب في تمويل هذا المشروع أسهم في إشراك شرائح واسعة من المجتمع فيه، فالعمل الخيري كما نفهمه هو تكافل الجميع، وعمل الخير لا يعني المقتدرين الذين يفيض الكثير عن حاجتهم بل يمكن لمتوسطي الدخل أيضاً أن يساهموا في هذا العمل ويشاركوا في التخفيف من وطأة الحاجة على من يعجزون عن تلبية حاجاتهم الأساسية، وتبقى الفرصة أمام المقتدرين لدفع مبالغ أكبر من القيمة المحدّدة.

وقد لبّت مئات السيدات في المدينة الدعوات التي كُنّا نوجهها لنشرح مشروعنا وتجاوبْن بعد تلبية الدعوات مع الشعار المرفوع، واستطعنا بفضل ذلك تأمين عشرات الآلاف من الدولارات سنوياً كانت تُحوّل الى صندوق الزكاة ليقوم بدوره بتوزيعها على المحتاجين وفق الأنصبة الشرعية.

إن الثقة الغالية التي منحنا إياها المجتمع المحلي كانت السبب الأول في نجاح هذا المشروع بالاضافة الى الحماس الكبير والاندفاع الى العمل الخيِّر دون أن يكون في بالنا أي هدف آخر سوى خدمة الناس.

ولم تكن الثقة عاملاً في تمويل هذا المشروع فحسب بل دفعتْنا الى مزيد من العمل والى التفكير في تطوير الخدمة المقدّمة؛

فممّا لا شكَّ فيه أن توزيع المال وفق مبدأ الزكاة وهو من أركان الإسلام، يُسهم في تنشيط الدورة الاقتصادية عن طريق ضخ المال لدى شريحة واسعة من العاجزين. إلا أن ما لفت نظرنا خلال متابعتنا لتنفيذ المشروع عبر زيارة العائلات المُسعفة هو سوء تنظيم الأولويات لدى بعض هؤلاء، مما ينعكس سلباً على وضع

العائلة، بالاضافة الى الكسل الذي يُصيب البعض نتيجة اتكاله على مبلغ مضمون في نهاية الشهر، فيُحجم عن السعي للبحث عن عمل حتى ولو كان قادراً، وهذا يؤدّي إلى حرمان سوق العمل من يد عاملة منتجة، ويؤثر سلباً على الدورة الاقتصاديّة.

علاوة على ذلك فقد انتبهنا الى شريحة من المحتاجين تسعى الى العمل دون أن تجد فرصة لأنّها لا تملك الخبرات والمهارات والكفاءات المطلوبة في سوق العمل، ولا تقبل أو لا تُفضّل الحصول على المال عن طريق الإحسان.

من هنا بدأْنا التفكير بتعديل خطة عملنا بناءً على اتجاهين أساسيين:

١. تقديم خدمة للمسعفين لا مالاً نقدياً لنضمن حسن استخدام الأموال في إطار ينمّي وضع العائلة، وفي هذا المجال لا بدّ من الانتباه إلى الشق الرعائي الوقائي.

٢. تأمين فرص عمل للسيدات اللواتي لا يمكن أن يجدْن هذه الفرص في المؤسسات غير الاجتماعية.

هذا الانعطاف المفصلي في العمل هو الذي بلوَر فكرة أهلنا بعد أربع سنوات من العمل الميداني مع الناس.

وقد انطلقت جمعيّة أهلنا انطلاقة متواضعة في شقة صغيرة تقع في صيدا القديمة، قدّمها لنا أحد الأصدقاء، وبدأ العمل في هذه الشقة على تأسيس ما اصطلحنا على تسميته بـ (معمل الانتاج) وبتجهيزات من منازل الأعضاء: فرن من هنا، قدر من هناك، طاولة من هنالك... وبدأت المغامرة مع عدد من السيدات المستعدات للعمل... ولأن النيّة صادقة، والعزيمة قويّة كبر العمل فانتقلنا الى شقة أكبر على مدخل صيدا الشمالي قدّمها لنا أحد الأصدقاء على سبيل الإعارة...

مجال آخر فتحنا فيه مجالاً للعمل يُسهم في دفع الدورة الاقتصاديّة بشكل مميّز: إنّه شق الخدمات المنزلية حيث فتحنا الباب أمام عمالة محليّة تعمل ضمن شروط إنسانيّة وبأجر عادل. وقد لعبنا في هذا المشروع ولا نزال دور الوسيط بين أصحاب البيوت والمؤسسات الذين يطلبون الخدمة من تنظيف وطبخ وضيافة وبين السيّدات العاملات اللواتي يقدّمن الخدمة.

ومن أهدافنا في هذا المشروع مصالحة مجتمعنا مع المهن التي تُصنّف للأسف على أنّها وضيعة، ويتمّ التعامل معها على هذا الأساس، بينما هي حاجة ملحّة ومطلوبة في المجتمع لا للمقتدرين فقط بل لمتوسطّي الدخل من الموظفين حيث تعمل المرأة والرجل دون القدرة على الاستعانة بعمالة أجنبيّة. وفي هذا الإطار نحاول وضع أسس تدريب للسيّدات العاملات للتمكين الذاتي، وإدارة الدخل وتنظيم الوقت، وغير ذلك...

في الوقت نفسه كُنّا نعمل بمساعدة المختصين على وضع خطة للوقوف ميدانياً على حاجة العائلات المسجّلة في صندوق الزكاة أو التي نحصل على معلومات عنها عبر الأصدقاء، من خلال استمارة تُفصّل كل المعلومات الضرورية لتقديم مساعدة تكون في مكانها الصحيح، تُنمّي ولا تُخدّر.

وفي هذا المجال لم ننسَ أن الرعاية الى جانب الخدمة بل هي قبل الخدمة.

ومن خلال العمل مع العائلات ودراسة الحاجات طوّرنا عملنا، فأنشأنا قسم توزيع الملابس الذي يقبل التبرعات من الملابس الجديدة والمستعملة ويعيد توزيعها لقاء مساهمات رمزيّة.

كما لاحظنا مشكلة التسرّب المدرسي فأنشأنا مشروع التعلّم الناشط الذي يتابع أبناء العائلات الذين يعانون من مشاكل في دراستهم تحصيناً لهم من الرسوب ولمنع دخولهم المبكّر إلى سوق العمل.

وأنشأنا مشروع رعاية اليتيم في بيته حيث نقدّم له كلّ الضروريّات بوساطة بين الكافل والمكفول وبحرص على كرامة اليتيم وعائلته.

ولم نغفل التعليم الجامعي حيث بدأنا قبل سنتين ببرنامج القروض والمنح للطلاب الجامعيين وحتّى للتلامذة قبل المرحلة الجامعيّة.

مشاريعنا كثيرة وتحتاج إلى صفحات طويلة للحديث عنها:

- فنحن اليوم في مبنى مؤلّف من خمس طبقات أربع منها منجزة كليّاً.
- معملنا يؤمّن العمل لـ ٧٠ سيّدة.
- مشروع الخدمات المنزليّة يؤمّن العمل لـ ١٠٠ سيّدة.

– المشروع الاجتماعي يتابع ١٨٠٠ عائلة محتاجة، فيقدّم لبعضها المؤن شهريّاً ويساعد في الأدوية والاستشفاء ويقدّم الحفّاضات لأصحاب الحاجات الإضافيّة، كما يقدّم للجميع حصصاً تموينيّة كلّ أربعة أشهر.

– مشروع التعلّم الناشط يتابع ٢٠٠ تلميذ للعام الدراسي الحالي ٢٠٠٨–٢٠٠٩.

– مشروع المنح والقروض يساعد ٩٠ طالباً للعام الدراسي الحالي ٢٠٠٨–٢٠٠٩.

– مشروع الملابس يساعد ما لا يقلّ عن ٥٠٠ عائلة.

كل هذا العمل في جمعية لا تتوخّى الربح... فكيف تأمّن المال اللازم؟

١. استمر العمل في مشروع (القليل الدائم خيرٌ من الكثير المنقطع).

٢. شبكة العلاقات التي أقامتها السيدات عضوات الجمعية أمّنت التبرعات اللازمة وبينها قطعة الأرض التي بنيْنا عليها مركز الجمعية الرئيسي بالإضافة الى شقتين خُصصت واحدة منهما للمشروع التربوي والثانية لمشروع توزيع الملابس.

٣. المؤسسات المانحة الدولية التي ساهمت في ترميم الشقة الخاصة بالمشروع التربوي وفي بناء مركز الجمعية الى جانب متبرعين كبار من المتمولين وأصحاب المؤسسات، وأفراد.

٤. الدول الصديقة التي تقدّم الدعم عن طريق سفاراتها في لبنان.

٥. ريع معمل الانتاج، ومساهمات مشروع الملابس.

كنّا مجموعة من السيدات، بدأنا بعمل عفوي وهدفنا أن نساهم في تنمية المجتمع، فساعَدْنا البعضَ، ولنتمكّن من ذلك ساعدَنا البعضُ،وهكذا تكتمل الحلقة وفق قول الشاعر:

الناس للناس من بدوٍ وحاضرةٍ بعضٌ لبعضٍ – وإن لم يشعروا – خدمُ